المادة / تاريخ الدولة العباسية

القسم الجغرافيا / المرحلة الثانية

المحاضرة السادسة

م / السلاجقة

م.م. وئام عاصم إسماعيل

السلاجقة (٤٤٧ – ٥٧٥هـ) :

شهد القرن الثاني الهجري والثالث والرابع هجرة موجات من القبائل التركية (الغُز) من أقصى تركستان إلى ما وراء النهر وخراسان، ولم تكن هذه القبائل تحت قيادة واحدة ولم تنسب إلى أصل تعرف به فلما ظهر سلجوق في النصف الثاني من القرن الرابع جمع شمل هذه القبائل ووحدها تحت زعامته فنسبت إليه وخضعت لحكم أبنائه وأحفاده من بعده، نزل السلاجقة بالقرب من السامانيين والغزنويين فدخلوا الإسلام وكانت الحروب مشتعلة بين السامانيين والغزنويين، فانضم السلاجقة مع السامانيين وساعدوهم في حروبهم فلما انهارت الدولة السامانية في اواخر القرن الرابع (٣٨٩هـ) أما الغزنويين أتاح المجال للسلاجقة الاستقلال بما تحت أيديهم ومات سلجوق فتولى رياسة القبيلة ابنه اسرائيل ثم من بعده ميكائيل ثم آلت أمور السلاجقة بعد ذلك إلى ابني ميكائيل جفري بك وطغرل بك.

أدرك السلطان محمود الغزنوي مدى الخطر الذي يكمن وراء ازدياد قوة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر وخشي أن يكونوا شوكة في ظهره تشغله عن مواصلة جهاده لنشر الإسلام في ربوع الهند لذا دبر محمود الغزنوي حيلة للقبض على اسرائيل وحبسه في قلعة الهند وظل سجينًا حتى مات عام ٤٢٢هـ بالرغم من أن السلاجقة قاموا بعدة محاولات لإنقاذه من السجن إلا أنها فشلت.

أسند السلاجقة قيادتهم إلى ميكائيل بن سلجوق وبقيت علاقتهم متوترة مع الغزنويين حيث بدؤوا يحققون انتصارات عليهم فأدرك السلطان محمود بأن السلاجقة باتوا يشكلون خطرًا على نفوذهم فخرج محمود سنة ٤١٩هـ ودارت بينهما معركة عنيفة انهزم فيها السلاجقة وتكبدوا خسائر كبيرة غير أن السلطان محمود لم يستطع طرد السلاجقة من خراسان أو القضاء عليهم نهائيًا بل العكس فإنهم استطاعوا أن يجمعوا شملهم مرة أخرى ويستعدوا لجولة جديدة تحت زعامة جفري بك (داود) وطغرليك (محمد) ابني ميكائيل ووافتهم الفرصة عام ٤٢١هـ عندما مات السلطان محمود الغزنوي فأخذوا يوسعون أملاكهم وينشرون نفوذهم على الجهات المجاورة حتى شمل نفوذهم أكثر جهات خراسان وبعد انهزام مسعود بن محمود الغزنوي في معركة سرخس ٤٢٩هـ وتركه لخراسان وما وراء النهر أعلن طغرليك قيام دولة السلاجقة في هذه السنة تربع طغرليك على عرش السلطة سنة ٤٢٩هـ، ولقب بالسلطان المعظم (ركن الدنيا والدين أبو طالب) وأمر أن يخطب له على المنابر باسم السلطان المعظم أو الأعظم وأن تضرب النقود باسمه وباشر كسلطان فعلي في السنة المذكورة ولم يبقَ سوى الحصول على اعتراف الخليفة العباسي ليكسب حكمه صفة شرعية أمام المسلمين، وقد اعترف الخليفة العباسي فعلا به سنة ٤٣٢هـ، والواقع أن قيام الدولة السلجوقية كان حدثًا جديدًا في التاريخ الإسلامي إذ ما لبثت هذه الدولة أن لعبت دورًا رئيسيًا في توجيه الأحداث في منطقة الشرق الادنى ولم يمضِ وقت طويل حتى تم لها السيطرة على أجزاء كبيرة من الدولة العباسية إضافة إلى ممتلكات الروم في آسيا الصغرى والمناطق المجاورة لإيران.

فقد استطاع السلاجقة بعد انتصارهم على الغزنويين احتلالهم خوارزم وطبرستان وقاموا بحملات ضموا فيها أذربيجان واستطاعوا بعد ذلك القضاء على بقايا البويهيين في فارس ووقفوا بذلك على أبواب العراق.

اتصال السلاجقة بالخلافة العباسية:

لم يبقَ أمام السلاجقة بعد أن اطمئنوا إلى قوة مركزهم وتوطيد نفوذهم سوى اصباغ الصفة الرسمية والشرعية لدولتهم الفتية فشرعوا في سنة ٤٣٢هـ بالاتصال بالخليفة العباسي القائم بأمر الله بالحصول على اعترافه بشرعية حكمهم للبلاد التي تقع تحت سيطرتهم والتي سيسيطرون عليها مستقبلاً واختار السلاجقة (أبا اسحاق القضاعي) رسولاً إلى بغداد يحمل رسالة تأكيد ولاء للخليفة العباسي ورغبتهم في الجهاد في سبيل التوجه إلى الشام أو مصر للقضاء على النفوذ الفاطمي، ودخل السلاجقة حلوان وخطب طغرليك ببغداد يوم الجمعة لثمان بقين من رمضان لسنة ٤٤٧هـ ولقب بالسلطان ركن الدولة يمين أمير المؤمنين ودخل السلطان السلجوقي بغداد يوم الخامس والعشرين من رمضان من السنة نفسها ونزل باب الشماسية (احد أبواب بغداد الشمالية) ولم يلبث طغرليك أن أمر بالقبض على الامير البويهي (الملك الرحيم) وأرسله مقيدًا إلى الري على الرغم من العهد الذي اعطاه له ولصحابه، وكان السلطان قد اتهم الملك الرحيم بتحريض العامة في بغداد ومهاجمتهم العسكر السلجوقي، وظل الامير البويهي معتقلاً حتى وفاته وقضي بذلك على آخر أمل للبويهيين في الحكم وسدل الستار على دولتهم لتحل محلها الدولة السلجوقية، أما القائد التركي البساسيري فقد خرج عن طاعة الخليفة العباسي وانحاز إلى الفاطميين ونجح في كسب تأييد الخليفة المستنصر الفاطمي وأمده بالأموال والذخيرة والسلاح والهدايا كما تبادلت المراسلات بين البساسيري وداعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي الذي كان مقيمًا في القاهرة وقد خرج المؤيدون لنجدة البساسيري ضد الخلافة العباسية والسلاجقة، وكان السلاجقة قد أخذ نفوذهم بالازدياد في العراق منذ عودة السلطان طغرليك إلى بغداد سنة ٤٤٩هـ حيث أفاض عليه الخليفة العباسي القائم بأمر الله بالخلع إلا أن السلطان لم ينعم بدولته للاسقرار إذ لم يلبث أخوه (إبراهيم ينال) أن خرج عليه وأعلن العصيان وكان (ينال) هذا قد استولى

على بلاد الجبل وهمذان وامتد نفوذه على ما حولها من البلاد فضلاً عن ولاية الموصل وما يتبعها من الاعمال في اقليم الجزيرة وقد استغل (المؤيد في الدين) فرصة الخلاف بين (إبراهيم ينال) وأخيه السلطان (طغرليك) وعمد إلى مراسلة ينال واستمالته إلى جانبه وتعهد بإمداده بالمال والسلاح لضمان نجاح حركته ضد أخيه السلطان طغرليك، فغادر ينال الموصل إلى بلاد الجبل سنة ٤٥٠هـ معلنا العصيان على طغرليك.

أدرك السلطان السلجوقي خطورة الموقف بعد خروج ينال وانحيازه إلى الفاطميين فصمم على وضع حد لتمرد أخيه فدارت بينهما معركة كبيرة بالقرب من الري انهزم على اثرها ينال ووقع أسيرًا بيد السلطان حيث أمر بقتله سنة ٤٥١هـ.

أما البساسيري فقد انتهز فرصة رحيل السلطان طغرليك عن بغداد وانشغاله في حرب اخيه فزحف نحو بغداد حاملاً راية الفاطميين ونجح في الاستيلاء على بغداد في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة سنة ٤٥٠هـ دون مقاومة تذكر واضطر الخليفة العباسي القائم بأمر الله إلى طلب الأمان فأجيب إلى طلبه وأرسل إلى منطقة (حديثة عانة) فنزل فيها مع أهله وحريمه وحاشيته وقطعت الخطبة عن العباسيين في الثالث عشر ذو القعدة من سنة ٤٥٠هـ ودعي الخليفة الفاطمي وأمر بضرب الدنانير باسم المستنصر بالله الفاطمي وسماها المستنصرية، ولما فرغ السلطان (طغرليك) من أمر أخيه سارع في التوجه إلى العراق لإعادة الخليفة القائم بأمر الله إلى مقر الخلافة في بغداد وأرسل إلى البساسيري يطلب منه إعادة الخليفة ويعده بعدم دخوله إلى بغداد وأنه يقنع بذكر اسمه في الخطبة والسكة بعد الخليفة. إلا أن البساسيري رفض طلب السلطان طغرليك فواصل السلطان زحفه نحو العراق فلما اقترب من بغداد أدرك البساسيري أن لا قِبَلَ له بمقاومته فرحل عن بغداد إلى الكوافة وكان الامير (مهارش العقيلي) قد سار إلى بغداد بصحبة الخليفة القائم بأمر الله فبالغ السلطان طغرليك في الاحتفال بقدومه إلى حاضرة الخلافة ثم أنفذ الأمر السلطاني

إلى العساكر في طلب البساسيري فأدركه في طريق الكوفة وكان عازمًا على الهرب إلى الشام وبصحبته (دبيس بن مزيد) أمير الحلة وقد انتهت المعركة بمقتل البساسيري وأمر السلطان بحمل رأسه إلى بغداد ٤٥١هـ، فعظم نفوذ طغرليك بعد هذه الانتصارات التي حققها ضد أعداءه وأعداء الخليفة، فاستتب الأمر له في العراق ولقبه الخليفة العباسي بلقب جديد وهو (ركن الدين).